إلياس أبو شبكة

نداء القلب



دار المكشوف

الياس ابو شبكة

نداء القلب

منشورات « دار المكشوف »

نداء القلب

كتب المؤلف

افاعي الفردوس

الالحان

روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة

الياس ابو شبكة

نداء القلب

البابا

منشورات « دار المكشوف »

طبع من هذا الكتاب ١٠٠٠ نسخة على ورق اعتيادي
وعشر نسخ على ورق هولزفري مرقمة من ١ الى ١٠
وعشر نسخ اخرى عـلى ورق «بولكي»
خاصة بالمؤلف .

الطبعة الاولى ، ١٩٤٤

الانـــاء

عصرتُ فؤادي في إناء من الهـوى
وأدنيتــهُ من مرشف الفقـراء
فقـالوا : « خمور مـا تـبرد غـلة . »
فتمتمتُ : « واهـاً اكـبـد الشعراء
أينكر حتى البؤس مـا فيـك من غنى
وأيّ غـذاء انت للبؤسـاء ؟ »

وذوّبتُ قلـبي في اناء مـن الهـوى

وادنيتــه مــن مرشف الرؤســاء

وقلت لهم : « هذا هو العــدل فاشربوا

لعلــكمُ تصغــون للضعفــاء . »

فمــالوا جميعــاً عن انائي وغمغموا :

« انــاؤك محظور عــلى الزعمــاء . »

وذوّبت قلــبي في انــاء مــن الهوى

وادنيتــه مــن مرشف السجنــاء

وقلت لهم : « هــذا عزاءُ قلوبــكم

فللابرياء التــاعسين دمــائي . »

فقالوا : « دماءٌ ما تحلّ قيودنا
فهاتِ قوانيناً لغير قضاء . »

وذوبت قلبي في اناء من الهوى
وأدنيته من مرشف الحكماء
وقلت لهم : « هذا هو النور فاشربوا
فآراؤكم في حاجة لضياء . »
فقالوا ، وقد هزوا الرؤوس شماتةً :
« ضياؤك هذا خدعة الجهلاء . »

وذوبت قلبي في اناء من الهوى
وادنيته من مرشف الامراء
وقلت لهم : « هذا هو النبل فاشربوا
وطوفوا باقداحي على النبلاء . »
فقالوا : « أتحقير لطغراء جدّنا
وما تنسل الاصلاب من شرفاء ؟ »

وذوبت قلبي في اناء من الهوى
وادنيته من مرشف الشعراء
وقلت لهم : « أهذا هو الحب فاشربوا

فازياؤكم مرهونـة لفنـاء

اذا الحب لم يضرم لهيب قلوبكم
بَشِعتم ولو جئتم بالف رداء . »

وما زلت في الدنيـا اطوف بخمرتي
وحوليَ شعـبٌ هـازىء بوفـائي
الى ان دهاني اليـأس فاخـترت عزلة
افتش فيهـا عـن حُطـام رجائي
وذوبت خمري في اناء من الهـوى
لاشربهـا ممزوجـةً ببـكائي

فشاهدت قلبي في انائيَ ضاحكاً
به دعــة عــذراء في خيــلاء
فادنيته من مرشفي وشربتــه
وما زال مــاء الحبّ مــلء إنائي

عودة الحب

يا ليلُ ، يا ليلُ ، ما هلَكْ
من نام في الحب أوَّلكْ
قلبي على جمرة الهوى
عيني على فحمة الفلَكْ
يا مجهلي ما أطولك
ألهمُّ لي والسهدُ لكْ

أمن جحيمٍ الى جحيمْ

أَم من نعيم الى نعيمْ

يا حبُّ قل لي من أَرسلك

أَساحرٌ أَنتَ أَم مَلَكْ

أطفأتُ ناري بمقلتيكْ

وأفرغتْ رحمتي عليكْ

فمن أعاد اللهيبَ لي

ومن أعاد الضيا اليك

أخليتُ قلبي مذ ودَّعك

بحقّ حبي من ارجعك

ولِمْ تعودْ   ومن غصوني   لم يبقَ عودْ

وفي عيوني   لم يبقَ دمعٌ ليُطمعك

اعذب الشعر

أيا قبلةً مرّتْ على ضَفَتَي فمي

كطيفِ حبيبٍ مرَّ في الحُلم وانطلقْ

فأجرتْ به نهراً من الحب والجوى

تدفّق ناراً في عروقي الى الرمق

ملكتِ شعوري إذ ملأتِ جوارحي

لك الله ، إني في ذهولٍ وفي غرَق

أقضّي نهاري في انقباضٍ وريبةٍ

ويشتدّ بي وجدي اذا أقبل الغسق

إذا قـدمتْ خـفّ اللهيب بمهجتي

وإن غادرتني عـاودت مهجتي الحُرَق

أَقول لقلبي إنهـا الصدق في الهوى

وفي قلبها حبٌ لغـيرك مـا خفق

فآمِن بهـا ، آمن بما في عيونهـا

أَلم تَرَهـا أرغى بها المـاءُ واحـترق

ويا بصري حِـذْ مرّةً عن طريقهـا

كأنك ممدودٌ بخيط من القَلَقْ

ويا شعراءَ الارض ما أَصدق الندى

اذا ابتسمت ليلى وما أَكذب الورق

وإن نظرت ما أبلغ الشعرَ صامتاً

وإن نطقت ما أَعذب الشعر إن نطق

مررتُ بألوان الكلام ووهجهِ

فما جازَ عيني ثم مات على الَحدق

كنغيمٍ خفيفٍ يَمسح النور وجهَهُ

لأولى رياح الليل ينحلُّ في الشفق

فيا أذنُ لا تخدعك في القول بهجةٌ

ويا قلبُ علِّم أعذب الشعر ما صدق

الشاعران

الشاعرانِ ـ تباركَ الغزِلانِ ! ـ
طرفي وطرفُكِ حين يلتقيانِ
عيناي في عينيكِ : أشعر ما يرى
قلبي وانقى ما يذيب جناني
يا خيرَ من حنَّت اليها مهجةٌ
وأحبُّ من غزلت لها عينانِ
اللهَ من قُبلٍ طرفت بها دمي
قوتاً ولم تَدنَس بها الشفتانِ

أرسلتُ فيكِ الشعر عفوَ سليقتي
والفنُّ أخلصُه من الوجدانِ
لم أغتصب حِبَرَ الكلام وإنما
عيناي من عينيكِ تغترفانِ
أتلومني حِطَمُ النساء ؟ فإنني
خَلَلَ الملام نشقتُ عرف زواني
ورأيت أشواقاً تودّ لو انها
ريحُ يمرّ عبيرها بيباني

لولاك

أيحقُّ لي في غيرها الغزلُ
وعلى فمي من قلبها قُبَلُ
وكأنني في عينها لَهَبٌ
بفؤادها الولهان متَّصلُ
يبدو رماداً حين تلحظنا
عينٌ ، وحين تغيب يشتعل
يا خير مَن حنَّت لها مُهَجٌ
وأحبُّ من غزلت لها مقل

أفرغتِ عطركِ في دمي فعلى

شعري عبيرٌ منك منهملُ

لولاكِ جفَّ الشِّعر في كبدي

وحييتُ لا حبٌّ ولا أملُ !

الناسكة

حبيبي ، على هـذه الرابيه
أُحسُّ خيالك يرقى بيَهْ
فأُغلِقُ — إلا على ما تُحبُّ
روحَكَ — قلبي واهدابيَه
أتيتُ أحبك في ما تحبّ
ويضفي على وحيك العافيه
فما دفق الشعرَ من أصغريك
تجمَّعَ في هـذه الناحيه

أراه على المنحنى والخليج

وفي هذه الغابة الجاريه

وفي ما يقوت عروقَ الدوالي

وما يضمرُ الكرمُ للخابيه

أراهُ على أَملِ الزارعين

في موسم الحقل والماشيه

وفي كِبَرِ الدلب والسنديانِ

يحنو على دعةِ الساقيه

أتيتُ أُحبك في ما تحبّ

وأوصد دون الورى بابيه

فما عالمي غير مَغنى الجمالِ

أهواكَ فيهِ وتهوانيه

بروحك مغمورةٌ يقظتي

ونشوى بسحركَ احلاميه

وحلمي بحبك لا ينتهي

وهل تنتهي الغفلةُ الواعيه

مصادرُ وحيك معقودةٌ

بقلبي رؤاها وأجفانيه

ففي كلّ مطوى من الطير راوٍ

وفي كل منعطف راويه

من الارض أنشق أعرافَ شِعركِ

رَيّانةً كالندى صافيه

أحسّ لها في صميمي غليلاً

يخبُّ على وَهج أعراقيه

وأسمع صوتاً كهمسٍ عميق

فأصغي لتسمعَ أعماقيه

وأبصر ما لا تراهُ العيونُ

فأطويه كالله في ذاتيه

حبيبي ، على هذه الرابيه

أقرّب للحُب إيمانيه

اذا هجر الحبُّ دنيا القلوب

فما تنفع الحِطَمُ الباقيه ؟

الشاعر

خَلَقتُك صورةً مما هَوِيتُ
فخمرٌ أنتِ من وحيٍ وقوتُ
وتنزعكِ المزاعمُ من حقوقي
كأني ما عشقتُ وما شقيتُ
لغيري تدّعي الدنيا سراجاً
لهُ منه الفتيلُ ولي الزيوتُ
وكم نكرَ الزمانُ عليَّ حقاً
وكم فنيَ الزمانُ وما فنيتُ

وفاؤك بهجةُ الاجيال ذِكرٌ

وحبك آيةُ العشَّاق صيتُ

خيالٌ أنتِ من روحي وقلبي

تشعُّ له بديواني البيوتُ

سكبتُ عليه من حبي عطوراً

ومن شعري جمالاً لا يموتُ

انت لي

كلُّ ما في الحياةِ أنتِ، فقد سُكِّرَ
سمعي وأطبقَتْ مقلتايا
صوتكِ العذبُ ما سمعتُ سواهُ
غير عينيكِ ما رأت عينايا
كيفما ألتفتْ أحسّكِ حولي
أنتِ ملءُ المنى وملءُ هوايا
ملءُ نهر الحياةِ، تردادُ روحي
عطشاً كلّما ارتوت شفتايا

غير أني أحسُّ ناراً بقلبي

أَيكون الهوى بقلبي خطايا

هاجسٌ خاطفٌ يساور نفسي

وانقباضٌ تُحسُّه رئتايا

ماءُ عينيكِ ، فيمَ يصلب أحياناً

ويقسو ، كأنَّ فيه سوايا

أيّ طيف أرى خلال شكوكي

لم يذب بعدُ في لهيب غنايا

أنتِ لي في حقيقتي وخيالي

ليَ في يقظتي ، ولي في رؤايا

إن أكن من دمي بقيَّةَ شِعرٍ
وخيال فأنتِ مني بقايا

يد كريمة

يا حبُّ كُلّي شبابٌ　　كُلِّي ندىً وملابُ
على صعيدي جِنانٌ　　وفي سمائي رَبابُ
لولاكَ جفَّت عروقي　　وساد روحي الضَّبابُ
ولم يكن ليَ شِعرٌ　　ولم تكن آدابُ
ملأتَ عينيَّ نوراً　　فكان هذا الكتابُ
روحي عليه صريحٌ　　لا خدعةٌ ، لا خضابُ
عَصَرتَ قلبي ففيه　　للظامئينَ شرابُ
فأنتَ أكرمُ كفٍّ　　أعطى عليها العذابُ

كاسان

لا يَحملون ، وأَحملُ　　أنا في الغرام الاولُ
هم يعشقون بشِعرهم　　أمّا أنا فبأدمعي
بدمي ، بأعراقي ، بروحي　　، بالشباب الممرع
قالوا : « ثملنا واستفقنا . »　　قلتُ : « لا ، لم يفعلوا
لم يعرفوا سُكر الغرام　　لأنهم لم يحفلوا
بالخمر ، بل بزجاجةِ　　الكأس التي لا تُثمِلُ . »

العفاف المغوي

أتيتِ فأورق الادبُ السنيُّ
وغنّى الحبُّ واخضلَّ الرَويُّ
وكنتُ على الجفافِ، ومن قنوطي
يفيض على دمي ظِلٌّ شقيُّ
عليكِ من الهوى قوتٌ منيعٌ
ومن أعرافه عَبَقٌ شهيُّ
وفي عينيكِ يستهوي عفافٌ
له في النفس جاذبُه الخفيُّ

وفي شفتيك إغواءٌ لذيذٌ
يذوب عليه قربانٌ نقيٌ
أتيتِ، من السماء عليك ظِلٌ
ومن أغراسها خضَرٌ طريٌ
فقبّلني على شفتي رسولٌ
ومسٌ في كلامٌ عبقريٌ

ارض الميعاد

هبةَ الحبِّ ، يا شعاع رؤايا
وطريقَ السماء في مغنايا
رعشةٌ أنتِ في عروقي ووحيٌ
في دمي والنجيُّ من نجوايا
أنتِ أرض الميعاد ما سمح اللهُ
بها أو بمثلها لسوايا
غَمَرَ المنُّ من سمائك صحرائي
وفجَّرتِ كوثراً من هوايا

فاطمأنَّ الصباحُ أخضرَ في عيني

وطابت على أديمي العشايا

وجرى الشعر من دمي ، وإماءٌ

ما لغيري من القيان ، سبايا

يا سنا الحب ، يا سنا الله ، ما

أحرقتَ ناري الا لينقى سنايا

كان لي في الغرام قلبٌ بغيٌّ

وعيونٌ على الجمال بغايا

حين مرّت على جبيني يداها

واستحمّت في عينها عينايا

وتلاشى لهاثها في جوى قلبي

تلاشت عليـه تلك الخطـايا

أحبك

أُحبكِ فوق ما تسعُ القلوبُ
وخيَّل شـاعرٌ ووعى حبيبُ
لأَنتِ من السماء سَحابُ عِطرٍ
يَسحُّ عليَّ منكِ ندىً عجيبُ
أُحسُّكِ بي فعِرقُكِ صـارَ عرقي
ومـا لقَذىً بعرقينـا دبيبُ
فنحنُ إذا التقى صدرٌ وصدرٌ
لنا فكما التقى كوبٌ وكوبٌ

وإن مُزِجت بنا خمرٌ وخمرٌ

تمازجَ في الندى نسمٌ وطيبُ

أرى أدبي بعينك حينَ يهوي

على فمكِ الأديبِ فمي الأديبُ

بنا نارٌ وليس بنا هشيمٌ

وعاصفةٌ وليس لنا هبوبُ

العذاب الحي

يا حُبُّ عذِّبْ عذِّب فؤادي
ألهب عروقي أطفئ رشادي
وهاتِ سهدي وخذ رقـادي
يا حبُّ عـذب عذب فؤادي
سقيتُ روحي من الألَمْ
فمن جروحي هـذا النَّغَمْ
وكلُّ مـا بي من العـذابِ
يذوب حبّـاً على كتابي

يفيض نورْ من الشعورْ
على مدادي
يا حبُّ عذب عذب فؤادي

أهوى غزالْ من الحَضَرْ
مِلْءَ الخيالْ مِلْءَ الفِكَرْ
لمَّا أتينا في الحبّ آيهْ
نمَّت علينا عينُ الوشايه
لكنْ حبي دمي وقلبي
خمري وزادي

يا حبُّ عذّب   عذب فؤادي

رأيتُ نوري   عليكَ بادي
وسوف يبقى   على رمادي
يا حبُّ عذب   عذب فؤادي

ليل الصيف

الصيفُ ،يا ليلُ ، طارْ فارفقْ بأشواقي
واسلخ فُضولَ النهارْ من بعضهِ الباقي

ما العمرُ إلا ليلٌ وبدرُ
إذا توَلّى تلاهُ ذكرُ
مِلءُ السنينْ للعاشقينْ

يا ليلُ ما في الحقولْ حيٌّ سوى البدرِ
ليت الليالي تطولْ لآخر العمرِ

وليت كوبي يا ليلُ يبقى
أَسقي حبيبي منه وأُسقى
ذاكَ الرحيقْ ولا نُفيقْ

والغابُ صدرٌ حَنونْ غامت عليهِ الحَلَمْ
سكرانةً ، والسكونْ حُلوُ الشذا والنَّغَمْ
وللنسيمْ وللقمرْ
يدُ الكريمْ على الشجرْ
وللحفيفْ همسٌ لطيفْ

والنورُ أشهى قَبلْ   تَلُفُّها الأسرارْ

وفي السماءِ الجَبلْ   لحنٌ بَعيدُ القَرار

يا ليلُ دعنا   ننسَ الزمان

كما عشقنا   فالعمرُ كأسٌ وعاشقانْ

استغراق

أُلقيهِ مخموراً على صدري   وانسى الزمـان
فكلُّ ما أذكر من عمري   هـذي الثوان

الطـيرُ يبـني عشـهُ النديانْ
في الغار ، في الشربين ، في الريحانْ
والحبُّ يبـني عشَّـه فينـا
وغابُنا ما أنبتَ الوزّال   إلا ليُخفينـا
عن أعـين العـذّالْ

لا حسٌ في الدنيا لانسانِ

فالناسُ كالأرواح قد راحوا

ولم يزلْ إلا خيالان

حيَّين ، والباقون أشباحُ

أَلقيهِ مخموراً على صدري

فكلُّنا إلا الهوى فانِ

وكلُّ ما أذكر من عمري

هذي الثواني .

الا ليالينا

يا حُلوُ، ما في العيونْ حُلوٌ كهذا الجَنى
يُضفي عليكَ الفتونْ مِلءَ المنى
سحَّت عليكَ السما من سِحرها كلَّ ما
فاتَ جمالَ البشرْ
فالناسُ يا مُلهمي سِفرٌ وانتَ السُّوَرْ

يا مُلهمي يا خيرَ ما في دمي
لولاكَ ماتَ الخيالْ وماتَ حتى الجمالْ
على فمي

يهفو مَـن أسمِـكْ أريجُ جسمكْ

ولا يشمُّ البشرْ

فالنـاسُ يا مُسكِري عشبٌ وأنتَ الزَهَرْ

يـا مسكري أبعِدْ هواكَ الطَّرِي

تعـالَ نمضي ، فهـل في الناس إلا الدَوِيّ

فالنـاسُ إمَّـا غَبيّ أو عابثٌ مفـترِ

قُوتي عـلى مرشفيكْ والنورُ في مقلتيكْ

ولا يفيق البشرْ

فالنـاسُ يا مرشـدي ليـلٌ وأنتَ القمر

الغابُ ، واقينا ، حيٌّ ينادينا
أنوارُهُ لم تزلْ سكرانةً فينا
لنا الهوى والأَملْ والشِّعرُ خمرٌ وقوتْ
يا حبُّ كلٌّ يموتْ إلاّ ليالينا
ما نحنُ في العاشقينْ كسِيرةِ الأوّلينْ
يا خيرَ ما في السِّيَرْ
النـاسُ ماءٌ وطين وأَنتَ روحُ البشر

أنت أم أنا ؟

جمالكِ هذا أم جمالي ؟ فانني
أرى فيكِ إنساناً جميل الهوى مثلي
وهذا الذي أحيا بهِ ، أنتِ أم أنا ؟
وهذا الذي أهواهُ ، شكلكِ أم شكلي ؟
وحين أرى في الحُلم للحبّ صورةً
أظلّكِ يَجري في ضميريَ أم ظلّي ؟
تربّع كلُّ الحب في كل ما أرى
أمن روحك الكلّيِّ هذا السنى الكلّي ؟

خلقتك في دنيـا الرؤى أم خَلقتني ؟

وقبلكِ جئتُ الوحيَ أم جئتِهِ قبـلي ؟

وعنيَ قلتِ الشعرَ أم عنكِ قلتُـه ؟

ومَن في الهوى يُملَى عليه ومَن يُملي ؟

أحسّ خيـالي في خيـالكِ جاريـاً

وروحك في روحي وعقلك في عقلي

إذا مـا تراءى مُبهَمٌ في تصوّري

رأيتُ لهُ ضوءاً بعينيـكِ يستجلي

كأنك شطرٌ من كيـاني أضعتُـه

ولمـا تلاقينا اهتديتُ الى أصـلي

الناسك

مـاذا بوسع الزمن المـدَّعي
ما دمتِ في شِعري وفي أضلعي ؟

لن يُقطَـعَ الدهرَ لنـا ألفَـةٌ
مهما يفرّقنـا الورى نُجْمعِ

نقول للنـاس إذا صيَّحوا
مـا قـاله البلبلُ للضفـدع

شبابُنـا إن يَفْنَ يبقَ الهوى

نفنى بـهِ كالخلقِ في المبدعِ
ماذا علـى الحبّ اذا لم يُفق
هل وَعتِ الجمرةُ حتى نعي ؟
رأيتُني شيخـاً مـديدَ الرؤى
متَّصلَ السالف بالمزمعِ
على فمي انشودةٌ لا تَني
ونغوةٌ خضراءُ في مسمعي
أَعيشُ في الذكرى بغيبوبةٍ
كما يعيش الطفل في المرضعِ
طيورُ أَحلاميَ وحيُ الهوى

مَن حُومٍ حولي ومن وقَعِ

إن تُمحِلِ الدنيا وتعبسْ لنا
فأيَّ أَرضٍ فيكِ لم تُمرعِ

غنمتُ في عينيكِ كُنْهَ المنى
فالكونُ يحيا بي ويَفنى معي

الثالوث البكر

الحبُّ والخمرُ يا ليلَ ، والشعرُ
ثالوثنا البكرُ

كان الهوى قبلنا من بعض ما يقتني
وخدعةً في اللسان
والشعر ، ياليلَ ، كانْ شيطانه بهلوان
حتى تغنّى بنا

جئنا فجاء الخيالْ معطَّراً بالجمالْ
ملوَّناً بالسنى

هذي الربى من تكُون   يا ليلَ ، الا عيونْ

ترنو هُياماً لنا

جئنا فصار الزمان   بحبنا مهرجانْ

والارض صارت جنى

لا تنظري ، فالسماءْ   محجوبةٌ بالدماءْ

والجهل يرعى الورى

أما بنينا بناءْ   يا ليلَ ، فوق الفَناءْ

فيه السما والثرى

والحبُّ والخمرُ   يا ليلَ ، والشعرُ

ثالوثنا البكرُ

هـذه خمري

هذهِ خمري فذقها يا نديمي
فلها طعمٌ غريبٌ من كرومي
ليَ في كأسي يقينٌ لم يكن
ذهبَ الشكُّ مع الحب القديم
إنَّ في عَينَي حبيبي طَرَباً
شاعَ آمالاً وعطراً في صميمي
أين منه ذلك الهمُّ جرى
من أفاعيه سموماً في كلومي

يا نديمي ، أبرأتْ جرحي يدٌ

فاض منها مرهمُ القلبِ الكريم

فعلى كلِّ شقيٍ رحمةٌ

من سمائي وعلى كلِّ سقيمِ

لم يكن ماضيَّ في الحب سوى

مطهرٍ أفضى الى هذا النعيمِ

فهرست

انتهى طبع هذا الكتاب على

مطبعة الكشاف - بيروت

في ٧ آذار سنة ١٩٤٤

مطبعة الكشاف بيروت